امبراطورة فردرك

لم يحل الحول على وفاة فكتوريا ملكة الانكليز وامبراطورة الهند حتى جرّعت ابنتها فكتوريا زوجة الامبراطور فردرك الالماني وام الامبراطور غلوم امبراطور المانيا الحالي كاس المنون وهي في الحادية والستين من عمرها بداء اليم قضى به زوجها من قبلها وهو داء السرطان الخبيث ولم تجدِ عزّة الملك ورفعة الشأن ومهارة الاطباء فتيلاً

وُلدت الفقيدة في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٤٠ وبدت عليها مخايل النجابة وهي طفلة فكانت تتكلّم الانكليزية والفرنسوية وهي في الثالثة من عمرها واستظهرت بعضاً من اشعار لامرتين الشاعر الفرنسوي وهي في ذلك السن وكانت تستشهد بها احياناً وهذا من الغرائب التي لا تكاد تصدَّق لو لم يشهد بهِ ابوها . قال

انها خرجت مرةً راكبةً فلما رأت الحقول مبسوطةً امامها والغنم والبقر بها قالت Voila le tableau qui se déroule à mes pied ! اي « يا لها من صورة تنتشر امامي . لكن هذا الذكاء المفرط لم يحملها على العُجب بنفسها فبقيت وهي في سن الصبوة كغيرها من الصبايا لا تظهر الامتياز عليهنَّ ولما كبرت وطالعت الكتب الكثيرة واتَّسع نطاق معارفها ولقيت مَن العلماء والفضلاء اكثر ممَّن لقيت امرأة اخرى غيرها في عصرها لم يبدُ عليها شيءٌ من الدعوى والغرور لا في سلوكها ولا في حديثها مع انها قرأت اعوص العلوم وشاركت ابناها فيها قبل زواجها واظهرت من البراعة ما دعا الى القول بانها من نوابغ العصر

ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها اتى ابن ولي عهد بروسيا خاطباً لها برضى ابيها وامها وكان من اجمل الشبان طلعةً وأكملهم آداباً فلما رأته وقع في نفسها كما وقعت في نفسه وقرَّ القرار على ان يقترن بها حينما تبلغ السابعة عشرة من عمرها

واحتُفل بهذا الاقتران في الخامس والعشرين من يناير سنة ١٨٥٨ واعطاها البارلمنت الانكليزي اربعين الف جنيه صداقاً وقطع لها اربعة آلاف جنيه في السنة . فاعرب بذلك عن رضى الامَّة الانكليزية بهذا الاقتران . وقد ظنَّ البعض انها تترك امالها الوطنية وتبدلها بما يخالفها لكن دلَّت الايام على انها لم تفعل ذلك بل بقي حبها لوطنها وللحكومة الدستورية متغلباً عليها حتى لم تكن تحجم عن المجاهرة به لاشتداد اللوم عليها ساسة برلين

ولم تكد قدمها تطأ البلاد الالمانية حتى رأى فيها اقارب زوجها ما يدعو الى حبها واكرامها فكتب زوجها الى ابويها يقول « ان زوجتي سحرت العائلة الملكية كلها » وكتب لورد كلرندون وزير الخارجية حينئذٍ « انها كانت تسبي الجميع بلطفٍ يظهر انه عنوان عقل راجح وادب رائع يعصمانها من الخطإ في اقوالها وافعالها »

ولما استقرَّ بها المقام في بيتها الجديد عادت الى اشغالها العادية القراءة والكتابة والرسم والتصوير والنقش . وكانت تقرأ في مختلف الكتب من الفلسفة الى الروايات لكن اكثر اشتغالها كان بالمواضيع العويصة كالاقتصاد السياسي والفلسفة السياسية . ولم

يمضي عليها شهران حتى اخذت تترجم رسالة من الالمانية الى الانكليزية لخَّص فيها مؤلفها تاريخ المانيا وابان انها ستصير من اعظم الدول الاوربية سطوةً اذا جرت على خطة حربيَّة معلومة. وبعد قليل اخذت تبحث في مسألة اخرى من معضلات المسائل وهي هل يجوز لفريق من الناس ان يعقد محالفة مع البابا ولو على غير رضى الدولة التي هو تابع لها . وذهبت الى انهُ لا بدَّ من وضع حد يفصل بين سلطة الدولة وسلطة الكنيسة . ثم التفتت الى مسألة اعوص من هذه وهي واجبات الوزراء في الحكومة الدستورية وانشأت رسالة في هذا الموضوع وكان عمرها عشرين سنة

لكن اشتغالها بهذه المواضيع السامية لم يصرفها عن تدبير بيتها والاهتمام بشؤونهِ فانهُ يظهر من مكاتيبها انها كانت تبذل جهدها لتجعل نفقات بيتها اقل من دخلها ودخل زوجها لكي يتوفر عندها في آخر كل سنة ما يبقى عونًا لها وقت الحاجة . ولم يحُل الحول عليها متزوجةً حتى رُزقت ولدًا وهو امبراطور المانيا الحالي ولدتهُ في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٩ وتعسَّرت ولادتها بهِ حتى كاد يقضي عليها . وبقيت مع كل اشتغالها واهتمامها من اودع النساء واكثرهنَّ بهجةً

وسنة ١٨٦١ توفي فردرك وليم الرابع ملك بروسيا وخلفهُ عمهما وليم الاول على سرير الملك وصار زوجها وليَّ العهد وكانت آراؤها السياسية مخالفة لآراء كثيرين من ساسة بروسيا ومطالبها العلمية والاجتماعية فوق ما يستصوبهُ رجال بروسيا في ذلك العهد بل كان البعض ينكرون عليها اهتمامها ببعض الاعمال الخيرية لان حالة المرأة في بروسيا كحالتها في الشرق متأخرة جدًّا عمَّا هي عليهِ في انكلترا واميركا .

وكان يُنقم عليها اكرامُها لرجال العلم كأن ذلك لا يليق بمقام اميرة رفيعة الشان مثلها . ظُنَّ انها تميل بزوجها عمَّا جرى عليهِ ملوك بروسيا من الاستبداد الى الآراء الدستورية الشوروية الجارية في بلاد الانكليز . وكان هذا الظن في محلهِ لان سلطتها على زوجها كانت شديدة وكان هو ميَّالاً الى الآراء الدستورية بالطبع . وتناظرت الجرائد الانكليزية والالمانية في هذا الموضوع فزادت المسألة اشكالاً واوقعت الاميرة في مركز حرج جدًّا ولاسيما بعد ان ابدى حموها الملك رغبتهُ عن الحكومة الدستورية

وزادت سطوة بسمارك في ديوانهِ

وكان بسمارك يكرهُ الانكليز كرهاً شديداً ويتهمها بتفضيل المصلحة الانكليزية على المصلحة الالمانية وبقي مصرًّا على هذه التهمة بعد ان صار زوجها امبراطور المانيا وصارت هي امبراطورتها . وقد قال في صدد ذلك « ان الامبراطورة الجديدة انكليزية وهي واسطة للنفوذ الانكليزي وللمصالح الانكليزية عندنا ... والانكليز يحسبوننا شعباً منحطاً مخلوقاً لخدمتهم هذا هو رأي ملكتهم فينا وابنتها مثلها من هذا القبيل

ومن الغريب ان ذوي الاحقاد من الانكليز كانوا يتَّهمون العائلة الانكليزية المالكة هذه التهمة عينها فيقولون انها المانية وترجح المصالح الالمانية فانقلبت التهمة الآن الى ضدها

ونجح بسمارك في سياستهِ المعروفة بسياسة الدم والحديد وفاز بقهر بعض الممالك الالمانية رغماً عن الفقيدة وباطلاق القنابل على مدينة باريس غير مكترث لتوسلاتها ودموعها ولكن نجاحهُ دمث اخلاقهُ كما محا ذنوبهُ من عيون الامة الالمانية فزال من نفسهِ ما كان يراهُ من الموجدة عليها . قال بعد حين وقد سئل عنها « انها كانت لا تطيق النظر اليَّ اما الآن فقد تغيَّر ذلك. طلبت مني مرَّةً شربة ماء فلما اتيتها بكاس الماء نظرت الى سيدةٍ كانت جالسة معها وقالت لها عني « لقد اراق دموعاً من عينيَّ اكثر من ملء هذه الكاس » ولكن ذلك مضى وانقضى »

واصيب زوجها بداء السرطان في حنجرتهِ وآلام هذا الداء شديدة لا تطاق فتحملها بالصبر الجميل وكانت هي تمرّضهُ بنفسها كالام الحنون . ثم توفي ابوهُ فخلفهُ على سرير الامبراطورية الالمانية وقام باعباء الملك على ما بهِ من الداء الاليم ووعد امتهُ ان يبذل الايام الباقية من عمرهِ في ما يرقي شأنها ادبياً ومادياً لكن تلك الايام كانت قليلة تسعة وتسعين يوماً قضى بعدها مأسوفاً عليهِ مبكياً من امتهِ ومن كل من يتمنى للناس ملوكاً عادلين وخلفهُ ابنهُ وابنها وليم الثاني الامبراطور الحالي

وكان بسمارك قد بذل جهدهُ لكي لا يسير الابن في خطة ابيهِ فنجح وعادت الام الارملة الى سكب الدموع وبث الشجا ولكن لم يمضِ على الامبراطور سنتان حتى رمى

بسمارك عن حالتي فعاد يتوسَّل الى الامبراطورة لكي تشفع بهِ لدى ابنها فقالت لهُ انكَ لم يبقَ لي كلمة مسموعة عند ابني فعجزت عاجزة عن الشفاعة فيك

وكانت بهجة برلين قد صارت مضاضة في عينيها فهجرتها وابتنت لها داراً قرب فرنكفرت اقامت فيها بقية ايامها . ولما دالت دولة بسمارك عاد ابنها الى تذكار فضائل ابيهِ وكان يكاد ينساها ويقتصر على ذكرى جدهِ ووثقت ربط الحب بين الولد والوالدة من جديد

ثم ظهر فيها داء السرطان كما ظهر في زوجها فاكثر ابنها من التردد عليها حتى اذا قضى الواجب عليهِ نحو رفات جدتهِ وعاد من البلاد الانكليزية اسرع الى جانب سريرها يمسح دموعها ويخفف آلامها وبقيت هي الى آخر ايامها تهتم بالمسائل العمومية وتبذل جهدها في ما يخفف آلام الناس ويزيل مضض الفقر والبأساء وتصبر على الآلام صبر الاشداء حتى لم يكن يُظن ان الداء يتغلب عليها قريباً . لكن نفذ سهم القضاء وفاضت روحها في الخامس من اوغسطس الماضي

باب تدبير المنزل

نزهة الاطفال

اذا كان الفصل صيفاً وجب الخروج بالطفل الى النزهة حالما يصير عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وفي القطر المصري يمكن الخروج بهِ ايضاً في الربيع والخريف وهو في هذا السن وفي الشتاء بعد الاسبوع الخامس او السادس . والطفل كالنبات يحتاج الى الهواء والنور لكي ينمو ويقوى ويتحسن منظرهُ . فاذا حجزت النور والهواء النقي عن نبات ضعف وذبل وهكذا بضعف الاطفال ويذبلون اذا قاموا في بيوت رطبة مظلمة لا يتجدَّد هواؤها ولا تدخلها اشعَّة الشمس

ذكرت احدى السيدات المهتمات بتربية الاطفال ان طفلاً اريد حجبهُ عن الانظار لسبب من الاسباب فربي في غرفة مظلمة حيث لا يرى الشمس ولا يرى احداً الاَّ الذين